

الصدى العالمي لأفكار ومبادئ الثورة الجزائرية

د. رابح لونيسي

تمهيد

عرف التاريخ الحديث والمعاصر العديد من الثورات في مختلف القارات، إلا أن الكثير من هذه الثورات لم تحظ بتأثير عالمي كبير، ويكاد يقتصر التأثير والإشعاع العالمي على ثلاث ثورات كبرى فقط، وتأتي على رأسها الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789، وبدرجة ثانية الثورة البلشفية في روسيا عام 1917، وبدرجة ثالثة الثورة الأمريكية عام 1776، أما الثورة الجزائرية، التي تعد أحد الثورات الكبرى في القرن العشرين، فإنها لم تحظ في حقيقة الأمر بتلك المكانة العالمية التي تتميز بها هذه الثورات التي ذكرناها، سواء كان ذلك في الخطاب التاريخي العالمي، أو من ناحية الإشعاع والتأثير وإحداث تغييرات عالمية كبرى، هذا ما يطرح أمامنا عدة أسئلة تحتاج إلى إجابات، ومنها هل لا يعد ما حدث في الجزائر ما بين 1954 و1962 ثورة؟، وإن كانت فعلا ثورة فهل تأثير وإشعاع هذه الثورات الثلاث الكبرى يعود إلى إمتلاكها سمات خاصة بها غير متوفرة في الثورة الجزائرية؟، وهل هذه المميزات الخاصة هي التي أعطت لهذه الثورات ذلك الإشعاع العالمي الكبير؟

وللإجابة على هذه الأسئلة كلها، علينا في بداية الأمر أن نحيب على سؤال مفاده، هل الثورة الجزائرية هي فعلا ثورة بكل خصائص الثورات أم هي مجرد حرب تحرير؟ ثم بعد ذلك نقوم بعملية مقارنة بين الثورة الجزائرية والثورات الثلاث الكبرى، أي الثورات الفرنسية والروسية والأمريكية، كي نستخرج الخصائص التي تتميز بها هذه الثورات عن الثورة الجزائرية؟، وهل هذه الخصائص والمميزات هي التي أعطت لهذه الثورات الثلاث الكبرى ذلك التأثير والإشعاع العالمي أم لا؟ .

أولا-ثورة أم حرب تحرير؟

يتفق أغلب علماء اجتماع الثورات على القول، أن أي تحرك سياسي لا ينطبق عليه صفة الثورة، إلا إذا كان يحمل مشروعا متكاملا، يستهدف من خلاله تغييرا جذريا وشاملا لوضع ما من الأسوأ إلى الأحسن، وذهب البعض إلى القول أن الثورة هي الحركة التي تمتلك مشروعا حالما في مستقبل وردي¹، وينطبق هذا كله على الثورة الجزائرية، لأنها كانت تحمل مشروعا متكاملا يستهدف بناء مجتمع جديد، وقد حدد بيان أول نوفمبر 1954 مبادئ وأسس هذا المشروع، ولم يكن حلم الثورة الجزائرية التخلّص من الإستعمار الفرنسي فقط، بل استهدفت أيضا إقامة نظام جديد مناقض تماما للنظام الإستعماري السائد قبل الثورة، وتتمثل مبادئ وأسس النظام الجديد في "إقامة دولة جزائرية ديمقراطية وإجتماعية ذات سيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية" مع "إحترام الحريات الأساسية دون أي تمييز عرقي أو ديني"، أي إقامة نظام جديد على أنقاض النظام الإستعماري القديم، تسوده الديمقراطية والحريات والعدالة الإجتماعية ومبادئ الإسلام كإطار لكل الممارسات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وتعبير آخر مبادئ الإسلام كمرجعية للدولة والمجتمع الجديد².

ولم تمتلك فقط الثورة الجزائرية خصائص ثورية في مشروعها المستقبلي، بل أحدثت تغييرات عميقة في المجتمع الجزائري وذهنيته في نفس الفترة الذي كان يخوض فيه هذا المجتمع حربا تحريرية ضد المستعمر، وقد عدد فرانز فانون في كتابه "سوسيولوجية ثورة أو الثورة الجزائرية في عامها الخامس" الكثير من تلك التغييرات الإجتماعية والذهنية، التي أحدثتها تلك الحرب التحريرية في السنوات الخمس الأولى منها³.

يلاحظ أنه قد أطلقنا مصطلحي الثورة والحرب التحريرية في نفس الوقت على الأحداث التي عرفتها الجزائر ما بين 1954 و1962، ويعود ذلك إلى رفضنا ذلك النقاش البيزنطي، وهو هل ما حدث آنذاك ثورة أم حرب تحرير؟، وكأنه

محكوم علينا أن نختار واحد من المصطلحين، وأهملنا أمرا هاما جدا، وهو أن تلك الأحداث هي في الحقيقة ثورة وحرب تحرير في نفس الوقت، فهي ثورة لما حمله القائمون عليها من مشروع إجتماعي كما سبق أن بينا ذلك، وفي الوقت نفسه هي حرب تحرير، لأنها استهدفت أيضا التخلص من إحتلال بغرض للأرض، وتدخل هذه الأحداث ضمن عملية تصفية الإستعمار التي عرفها العالم المستعمر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لكن ما يؤسف له، هو أن ارتباط الثورة الجزائرية بعملية تصفية إستعمار، كان له تأثير سلبي على إشعاعها وتأثيرها العالمي فيما بعد، لأن العالم كان ينظر إليها مجرد عملية تصفية إستعمار، وأهمل جوانبها الأخرى، ومنها مشروعها الإجتماعي الثوري المتكامل، خاصة أنه قد بولغ في التركيز على عنفها، وحتى المفكر العالمي فرانز فانون الذي احتضنته الثورة الجزائرية، واعتبره الكثير منظرا لها، قد ساهم في هذه المبالغة، مما أدى إلى تغييب مشروعها الفكري والإجتماعي في العالم، وهذا الأمر هو الذي جعل المفكر مالك بن نبي يكتب قائلا عن فانون " أنه اختصر صورة الثورة إلى مجرد عمل من أعمال العنف، وربما دون أن يدري، قد أراح الزعماء... من هم التفكير، وهو قد أراحهم على وجه الخصوص من عقدة الذنب تجاه الأفكار التي خانوها..."⁵، كما أن القائمون على هذه الثورة قد أهملوا تطوير مشروعها وأفكارها ومبادئها، مركزين جهودهم كلها على عملية التحرير، ونعتبر ذلك أحد العوامل المفسرة للإشكالية التي طرحناها في هذه الدراسة، لكن ليس هو العامل الرئيسي كما سنرى فيما بعد، أي عندما نستخرج الخصائص التي تتميز به الثورات العالمية الكبرى عن الثورة الجزائرية، من خلال مقارنة هذه الأخيرة بهذه الثورات الكبرى من ناحية الخصائص والمميزات .

ثانيا-المقارنة بين خصائص الثورة الجزائرية والثورات الثلاث الكبرى

استهدفت الثورات الثلاث الكبرى، أي الثورات الفرنسية والروسية والأمريكية، التخلص من نظام قديم إستغلالي يخدم طبقة محددة، ويعرقل صعود

طبقة جديدة، فالثورة الفرنسية هي ثورة الطبقة البرجوازية ضد طبقة النبلاء المتحالفة مع رجال دين الكنيسة ونظام ملكي مطلق، أما الثورة البلشفية الروسية فقد كانت البروليتاريا قاعدتها الإجتماعية، وهدفها إقامة دكتاتورية هذه الطبقة، بهدف القضاء على النظام الطبقي بكل أشكاله، وذلك بواسطة نقل ملكية وسائل الإنتاج إلى طبقة البروليتاريا، وبشأن الثورة الأمريكية، فالبرغم من أن الطابع الطبقي للثورة غير واضح، إلا أنه يبدو أنه صراع داخل نفس الطبقة البرجوازية، فهي ثورة قادها البرجوازي المعمر، أي الأوروبي الذي استوطن أمريكا ضد البرجوازي الأنجليزي الذي يعيش في إنجلترا، والذي يستغل البرجوازي الأمريكي بشكل غير مباشر، وذلك بواسطة فرض التاج البريطاني ضرائب ومكوس باهظة على هذا الأخير، مما جعل البرجوازي الأمريكي يثور على البريطاني، ويعمل من أجل الإستقلال كي يتخلص من تلك الضرائب والمكوس أو الإستغلال الممارس ضده بشكل غير مباشر⁶.

فإن كانت هذه الثورات الثلاث هي ثورات طبقات مستغلة ومهضومة الحقوق ضد طبقة إستغلالية، فإننا نجد نفس الأمر بالنسبة للثورة الجزائرية، فالوضع فيها عشية الثورة، يشبه تقريبا نفس الوضع الذي عاشته فرنسا عشية ثورتها الكبرى عام 1789، وهذا التشابه هو الذي دفع فرحات عباس مثلا أن يكتب قائلا: "أنا كنت أظن أن الجزائر على أهبة ثورة 1789، كان فلاحونا يشبهون أولئك الفلاحين الفرنسيين، وأن الأوروبي المصفوف بأساطين العرب من قواد وآغوات وأرباب الزوايا والطرق، كان بمثابة الإقطاعي الفرنسي في فرنسا"⁷، فقد كرس الوجود الإستعماري في الجزائر نظاما طبقيًا بين المعمر الأوروبي من جهة وأغلبية جزائرية فلاحية تشغل في أراضي هذا المعمر التي اغتصبها منها، ولعل هذا ما دفع الكثير إلى اعتبار كل الإنتفاضات التي قامت في الجزائر ضد الإستعمار الفرنسي منذ القرن التاسع عشر حتى عام 1954 هي "إنتفاضات فلاحين"⁸، وقد كانت الثورة الجزائرية، ذات قاعدة إجتماعية ريفية

فلاحية، ويمكن لنا القول أنها ثورة طبقة فلاحية اتخذت طابع أمة تعمل من أجل التخلص من إستغلال أمة أخرى، وهذا الطابع الطبقي هو الذي جعل فرانز فانون الماركسي يعوض طبقة البروليتاريا في الثورة الروسية بطبقة ريفية فلاحية بالنسبة للثورة الجزائرية⁹.

وإن تشترك الثورة الجزائرية مع كل هذه الثورات بأنها ثورة طبقية، إلا أنها تختلف عن الثورتين الفرنسية والروسية في الأسلوب، حيث اتخذت الثورة الجزائرية أسلوب حرب تحرير، على عكس هاتين الثورتين اللتين اتخذتا أسلوب المظاهرات الشعبية، إلا أن هذه الثورة تشترك مع الثورة الأمريكية في أسلوب الحرب التحريرية، لأن الطبقة الإستغلالية كانت أجنبية بالنسبة لكلا الثورتين، أي الجزائرية والأمريكية، ولهذا التصقتا بطابع تحريري، ولغرابة الأمر أن كلتا الحريين التحريريتين لهاتين الثورتين قد دامتا سبع سنوات كاملة .

كما تشترك هذه الثورات الثلاث الكبرى مع الثورة الجزائرية، في حملها مشروع مجتمع يتلخص إما في بيان قصير، أو في مجموعة كلمات أو شعارات، والتي تتضمن أفكارا كبيرة وجديدة .

فالثورة الفرنسية رفعت شعار " الحرية، الإخاء، المساواة "، وهذه الكلمات الثلاث تجسدت فيما بعد في ميثاق لحقوق الإنسان والمواطن ودستور، لتجسد فيما بعد كمؤسسات نظام جديد أبهر الكثير من الشعوب التي أصبحت تستلهم من هذه الثورة نظامها الدستوري والمؤسساتي، وهي التي جعلت فيلسوفا مثل هيجل الألماني يتمنى إنتصار الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت على ألمانيا، كي تتحقق أفكار ومبادئ الثورة الفرنسية في بلاده، ويقول أن العالم قد وصل إلى نهاية التاريخ بوصوله إلى المبادئ والأفكار والنظام الذي طرحته وجسده الثورة الفرنسية، ويمكن لنا القول أن أغلب الدساتير العالمية هي تقريبا نسخة لهذا الدستور الفرنسي الذي تولد عن مبادئ الثورة الفرنسية¹⁰ .

ونفس الأمر عرفته الثورة الأمريكية، حيث طرح القائمون عليها بيان الإستقلال الأمريكي، الذي لا يتجاوز صفحة واحدة، لكنه يحمل أفكارا ومبادئ كبيرة وجديدة كالحقوق الطبيعية للإنسان والحرية والمساواة، ولم يتوقف قادة هذه الثورة عند ذلك، بل عرفوا كيف يحولوا ما جاء في هذا البيان إلى دستور ومؤسسات ونظام جديد أبهر العالم، وجعل مفكرا مثل ألكسيس دي طوكفيل، يعتبره أعلى نموذج للحكم الديمقراطي في العالم¹¹ بل حتى الثورة الفرنسية ذاتها، استلهمت من هذا الدستور الأمريكي ميثاقها لحقوق الإنسان والمواطن¹².

أما الثورة البلشفية في روسيا، فما هي إلا ثورة لتجسيد الأفكار الماركسية التي وضعها كل من كارل ماركس وفريدريك أنجلز في القرن التاسع عشر، وهي الأفكار التي تعلق بها الطبقات المستغلة في العالم الرأسمالي، والتي كانت تطمح إلى إقامة نظام اجتماعي عادل، ينتهي فيه إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فاصبح النظام السوفياتي الجديد الذي تولى في روسيا بعد عام 1917 محط أنظار الكثير من محرومي العالم الذين يطمحون إلى العدل الاجتماعي¹³.

تبين لنا مما سبق أن هذه الثورات العالمية الكبرى، قد كان لها صدى عالميا كبيرا بسبب ما حملته من مبادئ وأفكار جديدة للعالم.

وعلى عكس ذلك فإن الثورة الجزائرية رغم أنها طرحت بيان أول نوفمبر 1954 مثل البيانات والشعارات التي طرحتها هذه الثورات العالمية الكبرى، إلا أنها لم تعرف هذا الصدى العالمي، ويمكن أن تدفع هذه الملاحظة البعض إلى القول: أن الأفكار التي طرحها بيان أول نوفمبر لم تكن أفكارا جديدة، وأن العالم في غنى عنها، ولهذا لم يكن لها ذلك الصدى، الذي عرفته الثورات العالمية الثلاث الكبرى، هذا ما يدفعنا إلى البحث عن نسبة الجديد في أفكار ومبادئ الثورة الجزائرية كما طرحها بيان أول نوفمبر.

ثالثا-نسبة الجديد في أفكار ومبادئ الثورة الجزائرية

سبق لنا وأن قلنا أن بيان أول نوفمبر قد طرح أربع مبادئ أساسية، وهي الحريات والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وإحترام الحريات الأساسية دون أي

تميز عرقي أو عرقي، بالإضافة إلى مبدأ رئيسي، يتمثل في مبادئ الإسلام كإطار للممارسة السياسية والقانونية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية للمجتمع والدولة .

يمكن أن يقول البعض: أن هذه المبادئ ليست جديدة، فقد طرح بعضها في الغرب، كما أن المبادئ الإسلامية ليست جديدة بالنسبة للمسلمين . إلا أننا نرد على ذلك بنفي هذا الطرح، لأن لو عمقنا النظر في بيان أول نوفمبر، نجد أنه قد طرح أفكارا جديدة لم تطرح بهذا الشكل من قبل، خاصة بالنسبة للعالم الإسلامي، فبيان أول نوفمبر لم يقل بالديمقراطية وحدها أو العدالة الإجتماعية وحدها بل مزج بينهما، فكما يعلم المستمع للأفكار السياسية في الغرب، وحتى بالنسبة للعالمين العربي والإسلامي، فإن نقاش واسع وقع بين الديمقراطيين في البلاد الرأسمالية و الماركسيين في الدول الشيوعية ، فالديمقراطي في البلدان الرأسمالية يتهم الأنظمة الشيوعية بالديكتاتورية، لأنها ألغت الحريات، واكتفت بحل المشكلة الإجتماعية على حساب الحريات والديمقراطية كأسلوب للحكم، أما الشيوعيون فيعتبرون أن الديمقراطية في العالم الرأسمالي هي ديمقراطية برجوازية تتحكم فيها طبقة محدودة تتحكم في قوت الشعب، وتعرض الطبقات الكادحة للإستغلال .

لكن بيان أول نوفمبر قد حل هذه الإشكالية التي ما زالت مطروحة إلى حد اليوم، والمتمثلة لمن الأولوية للديمقراطية أم للعدالة الإجتماعية، وكأنه لا يمكن لنا أن نوفر الإثنين في الوقت نفسه، ويتمثل حل البيان في المزج بين الإثنين، ونعتقد أن تفكير واضعو البيان نابع في العمق من شعور المسلم بالتوازن بين حرية الفرد وحرية المجتمع، وبين حق الملكية والتكافل الإجتماعي، وتعبير آخر هو نابع من تصورات أناس تأثروا بدون شعور منهم بالوسطية التي قال بها الإسلام .

لكن نعتقد أن قول البيان بفكرة الممارسة السياسية والقانونية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والسلوكية "ضمن إطار المبادئ الإسلامية"، هي فكرة

عظيمة في عمقها، لأنها حلت مشكلة لا زال يعاني منها المسلم المعاصر إلى حد اليوم، وهي مشكلة التوفيق بين ما تتطلبه الحياة المعاصرة وما تشترطه قيم الإسلام ومبادئه، وبعبارة أخرى مشكلة الأصالة والمعاصرة، فقولنا بالممارسة في إطار المبادئ الإسلامية، معناه أن بإمكان المسلم أن يمارس حياته بكل حرية شريطة عدم مناقضة تلك المبادئ العامة للإسلام، كما أنه بإمكانه الاستعانة بالمنظومات القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أنتجها عقل الإنسان أينما وجد، لكن شريطة أن تكون فعالة ولا تناقض المبادئ العامة للإسلام، ولهذا نكون بإمكاننا الاستفادة من تجارب ومؤسسات العالم المعاصر، فيدخل المسلم بذلك العالم المعاصر بمؤسساته ومنظوماته شريطة أن لا تناقض مبادئه الإسلامية .

إن هذا المبدأ الذي أتت به الثورة الجزائرية هو مبدأ جديد، لكن له جذور فكرية في تراثنا الفقهي الإسلامي المغاربي، الذي طمست الكثير من أفكاره النيرة لصالح أفكار ظلامية وإلحظاطية، وردت إلينا أغلبها من المشرق الغير عقلاني، فهذه الفكرة التي أوردتها بيان أول نوفمبر، هي نفسها فكرة الظاهرية التي طرحها ابن حزم الأندلسي في القرن الحادي عشر ميلادي، والتي أسيء فهمها اليوم، فتنتقل الظاهرية لأبن حزم من فكرة مفادها أن الحلال والمباح هو الأصل في كل شيء، وما لم يكن نص صريح بتحريم أمر ما فهو مباح وحلال للمسلم، ولو يطبق هذا المبدأ الذي يشبه ما طرحه بيان أول نوفمبر، فمعناه يتخلص المسلم نهائياً من فكر وفقه جامد يعرض كل ما يطرأ من جديد على المسلم على ميزان الحلال والحرام، والذي تتحكم فيه عادة عقلية الفقيه وثقافته التقليدية، فكم حرمت من أمور تبين لنا بعد زمن أننا كنا مخطئين فيها، ولهذا لو أخذنا بالظاهرية كما طرحها ابن حزم ثم نضيف إليها الموافقات والمقاصد الإسلامية التي وضعها الشاطبي، لجعلت المسلم متفتحا على العالم المعاصر دون أي حذر أو عقد، ويمكن لنا القول أن بيان أول نوفمبر قد أوضح وبسط أكثر فكرة الظاهرية للمسلم المعاصر.

لكن ما يؤسف له أن هذه الفكرة التي أتت بها الثورة الجزائرية، لم تلق صدًى في العالم الإسلامي، الذي لا زال إلى حد الساعة يتخبط في نفس المشكل، مما يدفعنا إلى التساؤل: لماذا غيّبت هذه الأفكار والمبادئ، خاصة بالنسبة للعالم الإسلامي، ويأتي على رأس هذه المبادئ، مبدأ الممارسة الشاملة "ضمن إطار المبادئ الإسلامية" ؟ .

رابعاً-أسباب غياب الصدى العالمي لمبادئ الثورة الجزائرية

قد قلنا سابقاً أن التركيز على الحرب التحريرية دون المجال الفكري للثورة الجزائرية، قد كان أحد العوامل التي أضعفت الصدى والإشعاع العالمي للثورة الجزائرية، ويمكن لنا إضافة عامل آخر، يتمثل في المركزية الأوروبية، التي تتجاهل كل ما يتجه العالم الغير الغربي من افكار ومبادئ وأيديولوجيات وممارسات، ولعل ذلك هو الذي جعل من هذه الثورات العالمية الثلاث الكبرى ذات صدًى عالمي كبير، مع تغييب ثورات أخرى، ومنها الثورة الجزائرية .

لكن تفسير غياب صدًى الثورة الجزائرية بهذين العاملين فقط غير كاف، وإلا فكيف نفسر غياب حتى الفكرة التي أوردناها حول الممارسة الشاملة ضمن إطار المبادئ الإسلامية، حتى في ذهن الكثير من الجزائريين أنفسهم .

لا يقتنع العالم بالأفكار الجديدة، إلا بعد أن يراها تتجسد على أرض الواقع على يد الذين أنتجوها أو آمنوا بها، ولا تنتشر بقوة إلا بعد أن يراها تؤتي أكلها وثمارها في المجتمع المطبق فيها، وهذا هو ما وقع بالنسبة للثورات الفرنسية والروسية والأمريكية، لكن حدث العكس في الجزائر بعد إسترجاع الإستقلال، مما أبعد عنها إهتمام العالم، الذي اكتفى بمتابعة ذلك الصراع المدوي حول السلطة بين ثوار الأمس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الذين استولوا على السلطة، قاموا بعملية إتباع نماذج أخرى مهملين كل الإهمال تلك الأفكار التي وردت في بيان أول نوفمبر، فجريت في جزائر الإستقلال خليط من التجارب

الإشتراكية، بداية باليوغسلافية ونهاية بالسوفياتية، بالإضافة إلى الناصرية التي كان لها تأثير في العالم العربي، قبل الدخول في تجربة أخرى هي إقتصاد السوق الرأسمالي بعد ربع قرن من إسترجاع الإستقلال .

ومما زاد في تغييب مبادئ وأفكار الثورة الجزائرية أكثر، هو الوثيقة المنبثقة من مؤتمر طرابلس، والتي وضعت مبادئ أخرى للدولة الجزائرية، لا علاقة لها ببيان أول نوفمبر، وتتمثل في إقامة نظام إشتراكي ونظام الحزب الواحد، الذي يناقض تماما مبدأ الديمقراطية وإحترام الحريات الأساسية التي طرحها بيان أول نوفمبر، فبذلك اختنقت حرية المفكرين والمثقفين، الذين يجب عليهم التفكير في حدود ما يسطره الحزب الواحد، وإلا ينعت المثقف والمفكر بنعوت الرجعية والبرجوازية والعمالة والعداء للثورة الإشتراكية¹⁴، فضيحت الجزائر بذلك رسالتها للعالم، وبالأخص للعالم الإسلامي، فضاعت المبادئ التي نص عليها بيان أول نوفمبر في تأويلات لا علاقة لها تماما بحقيقتها، وكل واحد يوظفها حسب قناعات أيديولوجية أنتجها آخرون .

فاصبحت الثورة الجزائرية بذلك لا تمتلك ما تقدمه للعالم من جديد، وقد نبه مالك بن نبي إلى هذا الأمر في إحدى محاضراته للطلبة المغاربة في دمشق قبل ثلاث سنوات من إسترجاع الجزائر إستقلالها، ويتساءل في هذه المحاضرة عن ماهية رسالة الجزائر في العالم كي يكون لها مكانة عالمية، ويقول "إن الإنسانية قد دخلت عهدا جديدا منذ الحزب العالمية الثانية، وأصبح لزاما على كل شعب أن يقدم ما يملك من إمكانيات حتى يعلم حظه بين الشعوب، ولا شك في أن هذا سيجعلنا أمام نقطة إستفهام تعترض طريقنا وتطلب بقوة الجواب على هذا السؤال: ما هو حظنا في هذا العالم؟"¹⁵، وهو يرى أنه لا يمكن أن تكون هي الديمقراطية أو الإشتراكية و لا فكرة السلام، لأن كل هذه الأفكار ليست جديدة في هذا العالم، ويقدمها الذين لهم تأثير فيه بفعل هذه الأفكار، ف"لون الديمقراطية قد استقر على مساحة الرقعة الجغرافية التي تطابق رقعة الحضارة الغربية، أي

الرقعة التي تشمل أوروبا الغربية وأمريكا، وأن اللون الأحمر لون الاشتراكية قد جعل من الرقعة التي تنتشر عليها البلاد الشيوعية مقاما، وأن لون السلام الأخضر قد أوى إلى شبه القارة الهندية¹⁶، ويقصد بهذه الأخيرة مبدأ اللاعنف للمهاثما غاندي، ويطرح في الأخير ما يعتقد أنه بإمكان أن تكون رسالة الجزائريين إلى العالم، فيقول "فهناك في نظري مجال نستطيع فيه أن نسجل بلون خاص وجودنا على الخريطة الأيديولوجية. إن الإنسانية في حاجة-عامة- إلى صوت يناديها إلى الخير، وإلى الكف عن جميع الشرور"¹⁷، ويتعبر آخر يدعو بنبي إلى أن يكون للجزائر رسالة أخلاقية إلى هذا العالم .

لكن لم يحسم بن نبي في ذلك، وأبقاها مجرد وجهة نظر، ويبدو أنه لم يتبته حتى هو، إلى أن الجزائر قد اعطت أفكارا جديدة في بيان أول نوفمبر، ولم يبق لها بعد إسترجاع الإستقلال إلا التفكير في كيفية تجسيد تلك الأفكار عمليا، وبواسطة مؤسسات وهيكل ونصوص قانونية، وأن ما طرحه بن نبي حول الرسالة الأخلاقية، فهي متضمنة في مبدأ الممارسة "ضمن إطار المبادئ الإسلامية" التي نص عليها بيان أول نوفمبر، ومن هذه المبادئ نجد القيم الأخلاقية الإسلامية، كما يمكن أن تكون هذه المبادئ أو الروح الإسلامية هي المحرك في عملية البناء والتشيد، كما حركت الكثير من الجزائريين في عملية التحرير من الإستعمار .

الخاتمة

تبين لنا من كل ما سبق أن ثلاث عوامل تختفي وراء خبو إشعاع الثورة الجزائرية، أولها وهي التركيز على أنها حرب تحرير على حساب إبراز مشروعها ومبادئها، أما ثانيها فهي المركزية الغربية التي تهمل كل ما ينتجه العالم الغير الغربي، ويتلخص العامل الثالث وهو العامل الأساسي، في إهمال الجزائريين الأفكار والمبادئ الواردة في بيان أول نوفمبر، ولجؤهم إلى إستيراد نماذج شعوب أخرى، ولم يدركوا أن قوة التأثير العالمي للثورات الثلاث الكبرى، أي الفرنسية والروسية والأمريكية، يعود إلى ما أعطته للعالم من أفكار ونماذج بناء جديد للمجتمع

والدولة، بل يمكن لنا القول أن حتى الثورة المصرية عام 1952، التي ما هي إلا مجرد إنقلاب عسكري، إلا أنها تحولت إلى ثورة ذات تأثير على صعيد العالم العربي، بفعل محاولتها إعطاء نموذج يبدو في ظاهره جديدا بالنسبة لهذا العالم العربي في عملية بناء الدولة والمجتمع، ويمكننا القول نفس الشيء أيضا عن الثورة الإيرانية بالنسبة للعالم الإسلامي .

لكننا نعتقد أن ما ورد في بيان أول نوفمبر من مبادئ، بإمكانها اليوم أن تعطي للثورة الجزائرية وهجا وشعلة جديدة، لكن بشرط أن يجتهد المثقفون والمفكرون في وضع ميكانيزمات جديدة لتطبيق المبادئ الواردة في بيان أول نوفمبر على أرض الواقع، فتصبح بذلك الجزائر نموذجا تشرئب إليها أعناق العالم، وبشكل أخص العالم الإسلامي، الذي لا زال يتخبط في تخلف كبير، وعاجز على إيجاد مشروع مجتمع متكامل وأصيل، يتماشى مع ذاتيته وخصوصياته الإسلامية .

الهوامش

-André Découflé, Sociologie des révolutions, Presses universitaires de France, 2^oéd Paris1970 pp29-40

³ - بإمكان العودة حول هذه المبادئ إلى:

رابح لوئيسي، بيان أول نوفمبر وأسس الدولة الوطنية: الجذور الفكرية والمضمون، مجلة المصادر الصادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بالجزائر، عدد7 الصادر في نوفمبر2002 ص ص 17- 42

⁴-Frantz Fanon, Sociologie d'un révolution (l'an v de la révolution algérienne), éd Maspéro Paris1959

⁵ -Frantz Fanon, Les damnés de la terre, E.N.A.G édition Alger1987

⁶ - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر دمشق 1988 ص 129

- ⁷ -كرين برنتون، دراسة تحليلية للثورات، ترجمة عبد العزيز فهمي، مراجعة محمد أنيس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1966 ص ص 44 - 60
- ⁸ -فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ج1 - ليل الإستعمار- ، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية المغرب (دون تاريخ) ص 136
- ⁹ -مصطفى لشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1972
- ¹⁰ -Frantz Fanon, Les damnés de la terre, éd Maspéro Paris 1961
- ¹¹ -روبرت بالمر، 1789: الثورة الفرنسية وإمتداداتها، ترجمة هتزييت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر ط1 بيروت 1982
- ¹² -Alexis de Tocqueville. De la démocratie en amerique, 2tomes, E.N.A.G éditions Alger 1991
- ¹³ -Stephane Reals, Textes constitutionnels français, éd PUF Paris 1996
- ¹⁴ -هاري. وليندر، الحركات الاشتراكية ج1، ترجمة محمد ماهر نور، مراجعة محمد حلمي مراد، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966 ص ص 553 - 697
- ¹⁵ -رايح لونيسي، أيديولوجية الثورة الجزائرية بين النظرية والتطبيق، مطبوعات ملتقى الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية المنعقد بجامعة سيدي بلعباس يومي 24-25 جوان 2003
- ¹⁶ - محاضرة "رسالتنا في الغلم" في: مالك ن بي، تأملات، دار الفكر دمشق 1979 ص 205
- ¹⁷ -نفسه ص 211
- نفسه ص 215

